

«بيت الجريزة».. سيرة كاتب عماني مسحور بأزقة مسقط القديمة

أجيال وراء أجيال.. القرية العمانية مازالت تنجب الأدباء والمبدعين



سيرة تنشغل بسرد جماليات المكان (لوحة للفنان أنور سونيا)

خرجوا من قرية سرور السامالية وكذلك الكاتبان عادل الكلباني وعبد يغوث من قرية مقنبات بولاية عبري وغيرهم الكثير من الكتاب، وقدم الشاعر عادل الكلباني سيرته الذاتية من خلال كتابه «مقنبات.. وطن وطفولة» - حسب قوله، كما قدم الكاتب سليمان المعمرى كتابه عن قريته الردة بعنوان «كائنات الردة» التي عاشها منذ طفولته في ولاية صحم وهو ساكن بحواربها وأزقتها وشاطئها وشاهد على تحولاتها المدنية الحديثة.

وعالم القرية وعاداتها الاجتماعية من خلال ذكر بعض الشخصيات فيها مثل شيخ القرية. هنا يرى الشامي أن القرية العمانية بمفرداتها المختلفة كانت مادة خصبة للكثير من الكتابات والكتب العمانيين منذ القدم وكان لها دور بارز في ظهور الكثير من الكتاب العمانيين مثل سيف الرحبي وزاهر الغافري ومحمود الرحبي وأحمد الرحبي ومحمد سيف الرحبي ومحمد الرحبي، هؤلاء كلهم

وتاريخية، ودورها في ترسيخ عادات اجتماعية وسلوكية وثقافية تختلف عن نمط الحياة في المدينة». وللقريّة العمانيّة حضورها البارز في كتابات العديد من الكتاب العمانيين والتي كان أبرزها رواية «سيدات القمر» للكاتبة العمانيّة جوخة الحارثية، كاول عربية تفوز بجائزة «مان بوكز» العالمية لعام 2019، وقدم لنا كذلك الكاتب ناصر الحسني كتابه «سيرة القرية، سيرة المكان والزمان»، متطرقاً إلى الكثير من

كما أن الاتكاء إلى الخلفية الاجتماعية والتاريخية له دور كبير ولأجل هذا يشير الشامي إلى أن الشخصيات تمثل إحدى الركائز المهمة والدالة في السيرة الذاتية لما تملكه من ارتباط وجودي وعلاقات اجتماعية وروحية ووجدانية كان لها أثرها في سيرته الذاتية وبناء شخصيته. ويشير الشامي قائلاً «إن مخزون الذاكرة المشحون بالعلاقات الاجتماعية والتاريخية لتلك الشخصيات والتي بعضها ما يزال يعيش بيننا، ساعد في نبش تلك الذاكرة بكل تجلياتها وقيمتها الروحية وحضورها الشخصي وبما تملكه من قيمة اجتماعية وتاريخية وقربها وتأثيرها الشخصي في سرد السيرة الذاتية». وذلك ساعد في رسم خط سير بناء السيرة الذاتية وتأثير الشخصيات عليها ومدى واقعيتهما الزمانية والمكانية، ولذلك كانت تلك الشخصيات تعبر عن حقبة زمنية ونمط حياة أراد الكاتب توثيقها بكل سماتها ومدى انعكاسها عليه، وكانت تمثل جزءاً من واقع الحياة في تلك الفترة.

وفاء للمكان

الكاتب هاشم الشامي مسكون بجماليات المكان، هكذا سيرى القارئ حضوره بين مفردات وسطور هذا الإصدار، فسيشده وفاء لكل التجليات المتصقة بالأرض والأزقة الضيقة، والحنين إلى الحارات القديمة، التي لا تزال تحتفظ بروعتها وخصوصيتها الجذابة. ويعلق المؤلف بقوله «شكّل المكان في ذاكرتي عاملاً مهماً في سرد سيرتي الذاتية بما يملكه المكان من أثر على العلاقات الإنسانية والاجتماعية، لذلك جاء المكان معبراً عن مرحلة مهمة في حياتي وجزءاً مهماً من تشكيل وعي وثقافتني، ورباطاً مهماً في بناء نسج علاقاتي مع الآخرين، وأثر هذه العلاقات في أنسنة المكان وجعله في الإطار المتبادل لهذه العلاقات بين الإنسان والمكان، وجعل تلك العلاقات أكثر حميمية وفي فضاء مشترك، ويصعب على الإنسان تركها أو نسيانها».

ويتابع المؤلف «أما الذاكرة الأخرى فجاءت حول لقائي مع الموت وهو الموقف الذي حدث لي في عام 2013، وكاد هذا الموقف أن يودي بحياتي لولا أن القدر كان بجانبني، وتدور أحداثه بين البيت في الحيل الجنوبية من ولاية السيب ومستشفى جامعة السلطان قابوس». لا بد لأي سيرة أدبية أن تحمل بين طياتها الكثير من الحقائق بما في ذلك حقائق الشخصيات والتي تحمل أسماء حقيقية، فقد استطاع الشامي اختزال وقائعها وتصويرها بحيث لا تشكل عبء أمامه والقارئ في آن واحد،

للمكان تأثيره الخاص في حياة المبدعين حتى وإن لم يحضر بشكل مباشر في ما يبدعونه، فإنه يبقى الصانع الأول لطفولتهم ولتفاصيل حيواتهم التي ينهلون منها. وللمكان في الأدب على غرار الفنون الأخرى علاقة وثيقة لكنها تراوح بين الظهور والاختفاء بين السطور. ووفاء للمكان وشخصه قدم الكاتب العماني هاشم الشامي سيرته «بيت الجريزة».

مسقط - قدم المشروع الثقافي السنوي للجمعية العمانية للكتاب والأدباء لطباعة الكتب والإصدارات الأدبية والفكرية كتاباً جديداً للكاتب العماني هاشم الشامي بعنوان «بيت الجريزة»، والذي يمثل سيرة ذاتية للكاتب وسرداً لأهم أطوار تجربته. في هذا الكتاب الجديد تتجسد إضافة الشامي الأدبية؛ فهو ينقل البدايات الأولى له في مدينة مسقط القديمة، حيث ما هية بيت الجريزة وخصوصيته، ويروي تلك التفاصيل التي يبحث عنها القارئ حول ذات الكاتب وروح المكان وسيرته.

أبواب وشخصيات حقيقية

يعتبر «بيت الجريزة» أحد المعالم العمرانية والأثرية المهمة في مدينة مسقط كما يذكر الشامي، إلى جانب قلعتي الجلالى والميراني وقصر العلم العام، وغيرها من المعالم التاريخية الأخرى التي تميّزت بها المدينة، مشيراً إلى «بيت الجريزة» الذي جاء عنواناً لسيرته، له بُعد الرمزي والجمالي لمدينة عريقة، وفي ذاكرة طفولته أيضاً.

القرية العمانية مازالت

مادة خصبة للكاتب

العماني بما تحمله

من مفردات حياتية ولغوية

وتاريخية وثقافية

والمتبع لما يضمه هذا الإصدار سيلحظ إهداء الشامي في بدايات الصفحات الأولى إلى إخوته (إبراهيم، يوسف، بدر)، وهنا يبرر الكاتب قصة الإهداء، ويروي قصة الذاتيات قائلًا «في كتابي السابقة أضغ إهدائي جانبني، يعمله ذلك الإهداء من قيمة وجدانية وعاطفية وروحية في نفسي أو شخصيتي، والكلمات تؤطر ذلك الإهداء بما تركته في نفسي من بُعد ووقع جمالي ومدى اقترابه من كينونتي، أو أنه يشكل جزءاً من ثقافتني وارتباطاتي الاجتماعية أو المكان المحيط بي وعلاقاتي الشخصية بها. وقد جاء إهدائي هذه المرة إلى إخوتي وبما يتوافق مع سيرتي الذاتية». وقسم الشامي كتابه إلى عدد من الأبواب التي تسهل للقارئ التواصل

ابن فضلان رحالة عربي وأول مكتشفي روسيا قبل ألف عام

والثقافية، وأظهرت مجموعة من المشاهدات التي تراوحت بين ما هو مالوف عند ابن فضلان وما هو غير مالوف، وما يتقاطع مع مرجعياته الدينية وما لا يتقاطع، ما جعل الرسالة غنية بالحوارات والمشاعر المتضاربة التي يشعّر بها (الراوي/ الرحالة) خلال المواقف التي لم يعدها من قبل.

متابعة عبر الانتقال من مكان إلى آخر، وهو بهذا مجال رحب للقاص يمتلئ بالتفاصيل التي يسرد خلالها تجربته الخاصة مع الشعوب والبلدان التي يزورها أو يمرُّ بها، فيصفاً ما يراه، وتشغل مشاهداته مساحات واسعة من الرحلة، وخلال ذلك يعمد إلى سرد رحلته بوصفه بطلاً لها، ومكتشفاً، وسارداً في الآن نفسه.

وأكدت أنّ رحلة ابن فضلان حوت ما سبق كله؛ ذلك أنّ كاتبها اقتنص الفرصة من تلك السفارة السياسية التي كلف بها، فأبدع عملاً سردياً نظراً من خلاله إلى الشعوب التي مرَّ بها بعين الفاحص الخبير، وقدم شهادة ما تزال حيّة بيننا حتى يومنا هذا، ولم يكتف في الكثير من المواضع بتقديم الشهادة فقط، بل إنّه نقل إلى القارئ وجهة نظره في حادثة ما، أو موقف حصل أمامه.

ورغم أنّ ابن فضلان كان يروي الأحداث من الخارج على طريقة الراوي الموضوعي المفارق لمرويه، وكانه صحافي ينقل لنا حدثاً ما، إلا أنّ المتلقي يلمس في أحيان كثيرة وجهات نظره الخاصة بالمشاهدات. وخلصت شخاترة إلى أنّ الرسالة قدّمت صورة عن الآخر المختلف في جوانب عديدة من سماته الاجتماعية والثقافية

الانسجام مع طبيعة الرحلة بوصفها سياًة ثقافية كما يعرفها حسين محمد فهيم «إن الرحلة نوع من الحركة، وهي أيضاً مخالطة للناس والأقوام».

وتتمثل طرافة رسالة ابن فضلان باعتبارها أثراً سياحياً ثقافياً في الحضارة العربية الإسلامية القديمة في كونها من أقدم ما وصل إلينا عن بلاد الروس، بل تقريبا من أقدم الرحلات العالمية إلى تلك المنطقة، ما جعل أثره يترجم منذ القرن التاسع عشر.

وإذا كانت السياحة الثقافية في تعريفها الحديث تتشترط أولاً وقبل كل شيء ألا يظل السائح منعزلاً عن سكان البلد الذي رحل إليه، بل ينبغي عليه، وهذا شرط من الشروط التي لا غنى عنها حتى يحق له أن يتمتع بصفة سائح ثقافي، أن يكون منغمساً في الحياة اليومية لأهل البلد المضيف يربص أدق جزئياتها وتفصيلها الدقيقة. فإنّ ابن فضلان قد نحا هذا النحو منذ أكثر من عشرة قرون فاهتمّ بطقوس الموت والزواج والولادة وبتقاليد الضيافة. ورات شخاترة أنه علاوة على السياحة الثقافية فقد رسخ الرحلة في ما كتبه أدب الرحلة والذي كان يتشكل حافزاً للحكي؛ إذ يسرد الراوي أحداثاً

المرض ودفن الموتى، إضافة إلى خصائص النظام السياسي، وتقاليد هذه الأمم في الحكم وأنظمتها المتعددة، جاعلة من هذه المشاهدات بوابة لفهم الآخر في مرآة الأنا. وتناولت المؤلفة في الفصل الأخير رسالة ابن فضلان بوصفها نصاً أدبياً له خطاب خاص به، فهي ليست كتاباً جغرافياً خالصاً، ولا كتاباً له طابع معرفي، وانحازت إلى هذا التصنيف الأدبي فبنت دراستها عليه.

مرّ من فضلان بين بلاد الترك والروس والصقالية مثل السائح يدون بعد عودته إلى بلده مشاهداته وملاحظاته حول عادات الشعوب وتقاليدها وطقوسها بدءاً، كما يقول، من مدينة السلام إلى فارس، بخارى الجرجانية، الغزية، البنجاب، الباشخرد ثم الصقالية، الروسية والخرز، وهو ما ينسجم تمام

أحياناً لتكون وسيلة من وسائل إشباع الفضول المعرفي والاكتشاف، والتعرّف إلى الآخر.

وخصّصت شخاترة الفصل الأول لتحليل جانب السفاري في رحلة ابن فضلان، وناقشت هذه الرحلة بوصفها من أهم الرحلات في التراث العربي، لما فيها من تسجيل للتاريخ السياسي والاجتماعي في زمنها.

وتناولت لاحقاً مشاهدات ابن فضلان في بلاد الترك والروس والصقالية والخرز، فدرست ملامح النظام الاجتماعي، مثل: النظافة، وأداب الموائد، والزواج، وحضور المرأة والاختلاط، وطقوس

عمان - تدرس الباحثة خولة شخاترة في إصدارها «رحلة ابن فضلان والتواصل الحضاري والثقافي» تفاصيل الرحلة التي قام بها الجغرافي والسياسي والمفكر العربي أحمد بن فضلان، خلال القرن الرابع للهجرة، إلى بلاد الترك والروس والصقالية بتكليف من الخليفة العباسي المقتدر بالله. وتصنّف شخاترة في كتابها، الصادر عن «الآن ناشرون وموزعون» بعمّان، ما كتبه ابن فضلان من مشاهدات في تلك الرحلة، تحت ما يسمّى «أدب الرحلة» الذي زخر به التراث العربي.

ويتألف الكتاب من مقدمة وتوطئة وثلاثة أقسام وخاتمة، تناولت خلالها المؤلفة الأسباب التي دعتهما للكتابة عن رسالة ابن فضلان، ثم مفهوم الرحلة على إطلاقها؛ أغراضها ووقائعها وأهدافها التي كانت تتجاوز الترحال

ما كتبه ابن فضلان أدب رحلة قدّم صورة عن الآخر المختلف في جوانب عديدة من سماته الاجتماعية والثقافية

يذكر أنّ خولة شخاترة حصلت على شهادة الدكتوراه في الأدب والنقد، عملت أستاذة مساعداً وأستاذة مشاركة في جامعة جدارا، ثم رئيسة لقسم اللغة العربية فيها بين عامي 2014 و2016، ولها عدد من البحوث المحكمة إضافة إلى ثلاثة كتب هي: «بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان للجاحظ» (2005)، و«الخبر عند المحسن الخنوعي بين القصص والتاريخ» (2004)، و«معجم الكتاب من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر المملوكي» (2009).